الطلبة العرب في الجامعات الاسرائيلية

عبد السلام عبدالغني: من قرية نحف، ومواليد العام ١٩٤٧. بعد حرب ١٩٤٨، خرجنا الى بيروت، فامضينا شهرين، ثم عدنا الى فلسطين . انهيت المرحلة الابتدائية في نحف، والمرحلة الثانوية في احدى المدارس العبرية في القدس ، ثم انهيت المرحلة الجامعية في الجامعة العبرية في القدس، وحصلت على بكالوريوس في الكيمياء العضوية، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه ؛ واعمل، الآن، في مجال التدريس الجامعي، حيث ادرس في جامعة بير زيت، في الضفة الغربية المحتلة.

ازداد عدد الطلبة العرب الذين يدرسون في الجامعات العبرية من ١٣٠٠ في العام ١٩٧٣ الى ٢٥٠٠ اليوم، حيث يدرسون في الجامعات التالية، حسب الاهمية: الجامعة العبرية في القدس؛ جامعة حيفا؛ جامعة تل ـ أبيب؛ جامعة بئر السبع؛ جامعة بار ـ ايلان. وتبلغ نسبة الطلبة الجامعيين العرب ١,٧ بالمئة من مجموع الطلبة الجامعيين في البلاد، علماً بأن نسبة السكان العرب ١٦,٦ بالمئة من مجموع السكان؛ ومع ذلك، فإن الطلبة الجامعيين العرب يشكلون اكبر تجمع للمثقفين العرب؛ ولهؤلاء مشاكلهم المتعددة، سواء خلال دراستهم الجامعية، أو بعد تخرجهم. لو أخذنا مثلاً الجامعة العبرية في القدس، فقد كان فيها، في العام ١٩٧٣، نحو ٥٠٠ طالب عربي؛ أما اليوم، فيوجد فيها ١١٠٠ طالب عربي من أصل عشرة آلاف طالب يدرسون في الجامعة. وكان هؤلاء الـ ٥٠٠ طالب ينتمون إلى اكثر من ٥٠ قرية عربية، أي انهم يمثلون الوسط العربي ككل، وجميعهم يقيمون في مساكن الطلبة.

مشكلة السكن في جامعة القدس غير موجودة مثلما هي قائمة في الجامعات العبرية الاخرى . وهذا يعني استقلال الطلبة عن اهاليهم، وبالتالي ابتعادهم عن تأثيرات الوضع العائلي والعشائري السائد في قراهم؛ وهذه مسألة هامة للغاية، لأنها تشكل ارضية للعمل المطلبي السياسي، فالطالب يعبر عن رأيه بحرية في القضايا التي تهمّه. اضافة الى ذلك، تعتبر الجامعات الوسط الوحيد الذي يمكن أن تجد فيه تأييد العناصر الليبرالية والتقدمية اليهودية المؤيدة للعرب؛ وهؤلاء يشكلون قوة داعمة، وحاجزاً قوياً لحماية الطلبة العرب من اجراءات الشرطة.

للطالب العربي في الجامعات العبرية وظائف هامة. وهذه الوظائف لا يمكن تحقيقها بدون وجود لجان تجمعهم وتمثلهم، يستطيعون من خلالها التعبير عن آرائهم. أما بالنسبة الى الطالب اليهودي، فانه يمتلك قنوات مختلفة يستطيع من خلالها التعبير عن رأيه، والتنفيس عمّا في داخله؛ فهناك الجيش، وهناك قنوات اخرى عديدة متاحة له؛ أما الطالب العربي، فلا قناة للتعبير عن رأيه سوى لجان الطلبة العرب. من هنا، كان لا بد من ايجاد هذه اللجان في كل جامعة من الجامعات العبرية.

تأسست اول لجنة للطلاب العرب في العام ١٩٥٨، في الجامعة العبرية في القدس، وكانت تقوم بنشاطات سياسية ومطلبية؛ الا ان هذه النشاطات مقتصرة على مناسبات معيّنة، مثل احياء ذكرى كفر قاسم، وغيرها.

التحول الكبير

واصلت لجان الطلاب العرب نشاطاتها بعد العام ١٩٦٧؛ الا ان التحول الكبير حدث في العام ١٩٧٣، حيث ترافق هذا التحول مع التطورات التي طرأت على القضية الفلسطينية ككل. في ذلك الوقت، اجتمع عدد من الطلبة الجامعيين العرب، وتدارسوا وضع الحركة الطلابية، ووجدوا أن الطرف الوحيد، الفاعل سياسياً، والمؤثر في اللجان، هو الحزب الشيوعي، وأن عمل هذه اللجان مرهون بتوجيهات الحزب في مناسبات معيّنة. وكان موقف اللجان يقتصر إما على التأييد أو التحفظ تجاه البيانات التي يصدرها الحزب الشيوعي الاسرائيلي، علاوة على أن الحزب كان يشدد على اسرائيلية العرب، وضرورة الدفاع عن حقوقهم المدنية. وهذا الامر فرض ضرورة ايجاد منصة ثانية تشدد على الطابع الفلسطيني؛ اذ حتى ذلك الوقت لم يكن هناك أي جسم وطني مستقل؛ فبعد ضرب «حركة الارض»، حدث فراغ سياسي على الصعيد الوطني، والسياسي، ولم يكن هناك سوى الحزب الشيوعي، من جهة، وعملاء السلطة، من جهة اخرى؛ أما «حركة ابناء البلد»، فلم تكن أكثر من اطار محلي في ام الفحم. كل هذه الظروف فرضت الحاجة الى وجود جسم طلابي فلسطيني مستقل. لذلك، كان لا بد من الفرز، ومن حسم الامور مع الحزب الشيوعي، ولا بد من